Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى الكلام » [١] ، وأن الشعر « موضع اضطرار وموقف اعتذار ، وكثيرا ما تحرف فيه الكلم عن أبنيته ، وتحال فيه المثل عن أوضاع صيغها لأجله » [٢] – ما اعترافهم بهذا ، إلا شعور بأن لغة الشعر مختلفة – أو ينبغى أن تختلف – عن لغة النثر . ولكنهم نظروا إلى هذه المخالفات على أنها « ضرائر » فنفّروا الشعراء منها ، ورغبوهم عنها ، ولم تفلح لفتة ابن جنى الصائبة التى يرى فيها أن مرتكب ما سماه النحاة ضرورة إنما يدخل تحت قبحها ، مع قدرته على تركها ، ليعدّها لوقت الحاجة إليها [٣] ، وأنه لا يرتكبها لضعفه وعجزه ، بل لفيض منته ، وقوة طبعه « فمتى رأيت الشاعر قد ارتكب مثل هذه الضرورات على قبحها ، وانخراق الأصول بها ، فاعلم أن ذلك على ما جشمه منه ، وإن دلّ من وجه على جوره وتعسفه ، فإنه من وجه آخر مؤذن بصياله ، وتخمطه ، وليس بقاطع دليل على ضعف لغته ، ولا قصوره عن اختيار الوجه الناطق بفصاحته ، بل مثله فى ذلك عندى مثل مجرى الجموح بلا لجام ، ووارد الحرب الضروس حاسرًا من غير احتشام ، فهو ، وإن كان ملوما فى عنفه وتهالكه ، فإنه مشهود له بشجاعته ، وفيض منته . ألا تراه لا يجهل أن لو تكفّر فى سلاحه أو أعصم بلجام جواده ، لكان أقرب إلى النجاة ، وأبعد عن الملحاة ، لكنه جشم ما جشمه ، على علمه بما يعقب اقتحام مثله ، إدلالًا بقوة طبعه ودلالة على شهامة نفسه » [٤] – أقول لم تفلح هذه اللفتة فى تكوين وجهة نظر تدعو إلى إعادة النظر فى هذه الأمور التى سميت ضرائر ، وإعادة النظر فى وصف لغة الشعر بعامة لأن ابن جنى نفسه صاحب هذه اللفتة يصفها بوصفين يكفيان للتنفير منها وهما القبح ، وانخراق الأصول بها . وقد « خُدع القدماء باستمرار الظواهر الإعرابية الأساسية ، ولم يعنوا

---

(١) سيبويه ، الكتاب : ٢٦/١ (تحقيق الأستاذ : عبد السلام هارون) .

(٢) ابن جنى ، الخصائص : ١٨٨/٣ .

(٣) السابق : ٦٠/٣ ، ٦١ .

(٤) ابن جنى ، الخصائص : ٣٩٢/٢ وانظر : تفصيل رأى ابن جنى فى الضرورة فى كتابى الضرورة الشعرية فى النحو العربى : ١٤٢ – ١٥٣ .